الانفجار

محمود سالم

الانفجار

تأليف
محمود سالم

هنداوي

الانفجار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٩٧٥ ١

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الانتفاضة!	١١
مناقشة حامية!	١٥
الرحلة!	١٩
القتيل!	٢٣
إلهام والتقرير!	٢٧
الهبوط في جلبانة!	٣١
الغواصة!	٣٥
محاولة اختطاف!	٣٩
اللقاء المثير!	٤٣
الانفجار المروِّع!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الانتفاضة!

في طريق عودته من المقر السري الكبير بالصحراء الغربية ... وعند مدخل مدينة «الإسكندرية». سمع «أحمد» في راديو سيارته ... مزيدًا من الأخبار غير السارَّة عمَّا تفعله القوات الإسرائيلية بالمدنيين العُزَّل من أبناء «فلسطين» ... وبالذات أطفال الحجارة ... ولم يرحموا منهم أحدًا ... المشارك في الانتفاضة ... وغير المشارك ... فقد أصابهم العمى وتركوا رصاصاتهم تقودهم.

وازدحمت السماء بالطائرات ... وشن الليل برق الصواريخ ... ممَّا أثار دهشته ودهشة «إلهام» التي كانت لا تقل عنه حنقًا ولا ثورة ... وقد كانت تجلس بجواره متحفِّزة واندفعت تقول له: شيء لا يُصدَّق يا «أحمد» ... أيقتلون أصحاب الحق لأنهم يطالبون بحقهم ... أيصدون الحجارة بالبنادق؟ والقنابل بالصواريخ؟ أيُلاحقون الحمَام بالطائرات؟!

ومن خلفها اشتعل حماس «عثمان» وهو يقول: لقد فعلنا ذلك بأنفسنا!

أحمد: كيف؟

عثمان: لقد تفرَّقْنا فضعفنا ... ولم نجتمع على موقف ... ففعلوا بنا ما شاءوا!

إلهام: ألم يسافر «بسَّام» إلى أهله في «نابلس»؟

أحمد: نعم!

إلهام: وهل عاد؟

أحمد: الحقيقة لا أعرف، لكني لا أعتقد أنه عاد!

عثمان: ولا أنا ... فليس من المعقول أن يترك بلده وأهله في حالة مواجهة مع العدو ... ويعيش هو بعيدًا عن كل هذا!

إلهام: لسنا بعيدين يا «عثمان» ... إننا جميعًا كعرب نقف معهم ونعاونهم كلٌّ حسب موقعه.

عثمان: المواجهة هناك يا «إلهام» ... وسط الأطفال الذين يقتلون كلَّ يوم ... وسط المنازل التي تُهدم ... والمزارع التي تُحرق.

أحمد: علينا أن نتصل بـ «بسام» بأي طريقة ... وأن نقدِّم له ولِمَن معه الدعم اللازم قدر ما نستطيع.

عثمان: أرى أنها فكرة أكثر من جيدة!

إلهام: فكرة ماذا؟

عثمان: فكرة الاستفادة من وجود «بسام» في الأراضي الفلسطينية ... لنقوم بدورنا في الأحداث الجارية هناك!

كانت السيارة «اللاندروفر» التي تقلهم قد اجتازت منطقة «العامرية» على الطريق الصحراوي بالإسكندرية في طريقهم إلى القاهرة ... عندما انطلقت إشارات متقطِّعة من الكمبيوتر الملحق بها. وعندما ضغطت «إلهام» زرًّا به ... انطلق منه صوت يخبرهم أن المقر يطلبهم. فقامت بالضغط على زر آخَر ... فرأت على شاشته «ريما»، وسمعتها تقول: مساء الخير عليكم!

ابتسم «أحمد» حين رآها ... وكذلك «إلهام» ... وردَّا عليها تحيتها ... غير أن «عثمان» آثَر ألَّا يترك الموقف دون مداعبة ... فقال لها: مساء الخير ... القناة الرياضية؟

ولم تكُن «ريما» أقل منه خفة دم ... فقد ردَّت عليه قائلة: نعم ... ومعكم «ريما علواني».

ابتسموا جميعًا لدعابتها ... ولم يكتفِ «أحمد» بذلك بل قال لها: هل هناك أخبار مهمة؟

ريما: نعم فـ «باسم» لم يعُد من الأرض المحتلة ... ولا نستطيع الاتصال به.

إلهام: ألم تتصلي بعملائنا في «الأردن»؟

ريما: لم يرَه أحد من العائدين من «فلسطين» ... ولم يسمعوا عنه شيئًا.

أحمد: سألتقي غدًا بأحد رجال عائلة «جيور» وهي عائلة «باسم» ... وسنجد لديه إن شاء الله أخبارًا عنه.

ريما: وهل سندع الوقت يمرُّ هكذا حتى الغد؟

عثمان: ألم تتصلي برقم «صفر»؟

ريما: هذا الأمر متروك لـ «أحمد».

أحمد: سأكون عندكم في المقر خلال ساعات.

كان التوتُّر يسود المقر السري «بالهرم» فلم تكُن المنظمة بعيدة عمَّا يجري في فلسطين من مجازر وحشية يتعرَّض لها الشباب والفتية والأطفال ... وقد أبدى الشياطين كلهم رغبتهم في السفر إلى هناك للوقوف إلى جانب إخوانهم من أبطال الانتفاضة.

غير أن قادة المنظمة لم يستجيبوا لرغبتهم ... وإنما سمحوا لـ «باسم» فقط أن يسافر للاطمئنان على أهله في الضفة الغربية ... وقدمت له كافة التسهيلات للوصول إلى هناك ... عن طريق طائرة خاصة تقله مباشرة إلى مطار «تل أبيب» ومن هناك يتحرَّك به أحد أعضاء السفارة المصرية إلى الضفة الغربية ... غير أنه اعترض على هذه الطريقة في السفر ... وعلى التسهيلات المقدَّمة له.

وعندما ناقشه رقم «صفر» في ذلك قال له: أنا أرغب في السفر عن طريق «سيناء» لأشارك بني وطني معاناتهم.

فلم يقتنع رقم «صفر» بمبرراته وقال له: هذا سبب غير مقنع وأعرف ماذا يدور برأسك؟

وفي دهشة قال «باسم»: صدِّقني يا زعيم ...

فقاطعه رقم «صفر» قائلًا: صدِّقني أنت يا «باسم»، كلُّ ما تفكِّر فيه سوف يتم، ولكن ليس الآن.

باسم: إذَن ... متى سيحدث؟

رقم «صفر»: في الوقت المناسب!

وبذلك سافر «باسم» إلى مطار «تل أبيب» ... وقام بالاتصال بقيادة المقر من هناك قبل أن يذهب إلى الضفة الغربية ... وبعد ذلك انقطع الاتصال به تمامًا.

لذا ... فقد كان اجتماع أعضاء المنظمة مكتمل العدد ... ولم يتخلَّف أحد عن الحضور غير «باسم» بالطبع.

وقد اصطفُّوا جميعًا أمام الشاشة العملاقة التي ما لبثَت أن أُضيئت ... وظهرَت عليها صورة رقم «صفر».

وقد ضجَّت القاعة بعلامات الاستفهام ... والدهشة!

فها هو رقم «صفر» لأول مرَّة تظهر له على الشاشة صورة ... ولكن للأسف غير واضحة المعالم ... فقد تم تقسيم وجهه إلى مربعات صغيرة ... وحل بعضها محل الآخر ... فلم يمكنهم تفسير ملامح وجهه.

واعتدل رقم «صفر» الذي كان جالسًا على كرسي فخم خلف مكتبه وقال لهم: مساء الخير عليكم ... ولم ينتظر إجاباتهم بل استطرد قائلًا: هاه ... يشغلكم «باسم» كثيرًا ...

أعرف هذا ... ولكن ... ليس إلى الحد الذي يجعلنا نترك مهامنا ... ونجلس مكتوفي الأيدي أمام مئات القضايا التي تهم كل عربي ... وعشرات الأخطار التي تهدِّد أمن وسلامة الوطن ... وصمت برهة ... ثم استطرد قائلًا: أتعرفون ما يتهدَّدنا الآن؟

مناقشة حامية!

ساد القاعة صمت وترقُّب قبل أن تنطلق «ريما» قائلة: ولكن يا «زعيم» ... ليست لدينا قضية الآن أهم من «القدس».

وليس لدينا عدو أفظع من قتلة الأطفال والنساء والعجائز.

وليس لدينا الآن همٌّ ... غير إنقاذ هذا الشعب ... وإيقاف نزيف الدم المنهمر على هذه الأرض المقدسة.

رقم «صفر»: أنا أقدِّر لكم مشاعركم ... ولكن العدو لا يحاربنا فقط في «فلسطين»، ففي «فلسطين» يجد العدو مَن يتصدَّى له ... ولكن في مناطق أخرى من العالم يصنع العدو الكثير ليشوِّه صورتنا ... ويكسب تعاطف العالَم معه ... وغير ذلك يفعل الكثير ليظل شعب «العراق» محاصرًا ... فلا تقوم لهذا البلد العظيم قائمة ... فلا يُحسَب لأهله حساب ... ويرتع كما شاء في الأرض العربية.

إلهام: سيادة الزعيم ... إن لدينا عضوًا من أعضاء الجماعة داخل هذه الأرض الآن ولا نعرف عنه شيئًا!

رقم «صفر»: ألا ترون أنه خرج على قوانيننا؟

أحمد: كيف؟

رقم «صفر»: لقد كان من المفترض أن يسافر من مطار «تل أبيب» إلى أهله في «الضفة الغربية» مع أحد مندوبينا ... غير أنه اختفى من المطار بعد نزوله مباشرة ولم يعثروا عليه حتى الآن.

أحمد: وهل تظن أنه فعل ذلك عامدًا؟

رقم «صفر»: لا أظن ... أنا متأكد!

ريما: لماذا؟

رقم «صفر»: لأنه ناقشنا كثيرًا ... وأُجهِدنا كثيرًا حتى يقتنع بأن يسافر تحت حمايتنا ... أي إنه رفض كل ذلك قبل السفر.

أحمد: ولكن ذلك لن يدعه لمخالفة الأوامر ... فما دام طلبه قد رُفض ... فإنه سينصاع لأوامر المنظمة مهما حدث.

رقم «صفر»: إذَن ماذا ترون أنتم؟

ريما: هناك يا زعيم مَن يعرف قيمة «باسم» وقام باختطافه.

رقم «صفر»: لماذا؟

ريما: إنهم يظنون أنه سيقوم بعمليات ضد أهداف إسرائيلية.

إلهام: أو أنه سيقود عن بُعد جماعات فلسطينية مسلحة.

رقم «صفر»: وغير ذلك؟

رشيد: أن يكون أهله قد اختطفوه ... خوفًا عليه ... وهرَّبوه عبر شعابٍ في الجبل لا يعرفها غيرهم.

ريما: أتمنَّى ذلك!

إلهام: ولكن لماذا لم يتصل بنا؟

أحمد: أنا لا أجد لهذا السؤال إجابة.

رقم «صفر»: لهذا أرجِّح أن يكون هروبه متعمدًا ... إلا إذا كان ...

توقف رقم «صفر» عن إتمام كلامه ... فتلهَّف الجميع لمعرفة بقية الجمل ... واندفعت «ريما» تقول: إلا إذا كان ماذا زعيم؟

أحمد: قد قُتل ... ألا تقصد ذلك يا زعيم؟

إلهام: لا ... لا ... لا أظن ... لا يمكنني أن أتصوَّر هذا.

رقم «صفر»: لماذا ... هل يقتلون أحدًا ... ويتركون الآخَر؟ إن رصاصاتهم عمياء ... لا ترى ... إنها تقتل فقط ولا يهم مَن وكيف ولماذا؟

أحمد: والحل إذَن؟

رقم «صفر»: تقصد بالنسبة لـ «باسم»؟

أحمد: هذا أولًا.

رقم «صفر»: ماذا ترون؟

قيس: ماذا لو استعنَّا بأحد أعراب سيناء ليقوم بالاتصال بأهل «باسم» والبحث عنه هناك؟

رقم «صفر»: لقد قمنا بالفعل بعمل ذلك ... وحتى الآن لم تصلنا أخبار.

أحمد: إذَن ليس أمامنا إلا دخول «إسرائيل».

رقم «صفر»: عن طريق المنظمة؟

أحمد: لا عن طريق الأعراب؟

رقم «صفر»: أين «عثمان»؟

عثمان: أنا هنا يا زعيم ... ولكن مُتعَب بعض الشيء.

رقم «صفر»: هل ستبحث عن «باسم»؟

عثمان: فأنا أساسي في أي مجموعة ستسافر إلى الأرض المحتلة.

رقم «صفر»: لم أتكلَّم عن مجموعة يا «عثمان».

عثمان: ماذا تقصد يا زعيم؟

رقم «صفر»: أقصد أنك ستسافر لوحدك.

لم يعلِّق «عثمان» ... ولزم جميع الشياطين الصمت ... بل وحبسوا أنفاسهم ... انتظارًا لما سيقوله ... ولم يتمالك «أحمد» نفسه ... فاندفع يقول له: لمَ تسأله يا «عثمان» عن سبب هذا القرار؟!

رقم «صفر»: ولماذا لا تسألني أنت؟

أحمد: لأنك تحادثه هو يا زعيم.

رقم «صفر»: سأجيبك يا «أحمد» بسؤال آخَر.

أحمد: ما هو يا زعيم؟

رقم «صفر»: أتريد السفر معه؟

أحمد: لست أنا بالتحديد.

رقم «صفر»: تقصد ألا يسافر وحده؟

أحمد: نعم.

رقم «صفر»: ولكن المهمة لا تحتاج لسواه!

أحمد: نحن آسِفون يا زعيم أننا نناقشك!

رقم «صفر»: هذا ما أريده يا «أحمد»، وتستطيع أن تقول ما لديك.

أحمد: أليست المهمة هي العثور على «باسم»؟

رقم «صفر»: نعم.

أحمد: إذَن فكيف يستطيع «عثمان» أن يقوم بها وحده؟!

رقم «صفر»: إنكم مُنفعِلون يا «أحمد» من أجل «باسم».

ريما: إننا قَلِقون عليه جدًّا يا زعيم!

رقم «صفر»: ولكن ليس إلى درجة مراجعة الأوامر.

عثمان: إننا نشكو لك قلقنا يا زعيم.

رقم «صفر»: لا وقت لدينا للقلق استعد للسفر غدًا.

عثمان: أنا جاهز يا زعيم!

أحمد: هل سيتم تسليحه؟

رقم «صفر»: نعم ... وبأسلحة متطوِّرة للغاية.

إلهام: أشعر أن الأمر خطير.

رقم «صفر»: الخطر ليس جديدًا عليكم!

الرحلة!

كان الطريق إلى «الإسماعيلية» ليِّنًا ... والأشجار تصطفُّ على الجانبين، والعمران ينتشر هنا وهناك ... وتذكر «عثمان» كيف كان هذا الطريق صحراويًّا موحشًا بسبب الحروب التي خاضتها «مصر» لأجل القضية الفلسطينية. فعطلت كل خطط التنمية والتعمير بها.

ولم يشعر بالطريق إلا بعد البوابة الإلكترونية ... واقترب من مدينة العاشر من رمضان، هذه المدينة الصناعية والسكنية الكبيرة.

لقد كانت هذه المدينة حلم كل مصري كما هي الآن حلم كل فلسطيني ... وسرح بخياله إلى حيث توجد بقية المدن الصناعية والسكنية الحديثة التي بنَتها «مصر» بعد انتصار أكتوبر ٧٣.

وتوقيع معاهدة السلام ... التي استعادت «مصر» بها كل حقوقها.

إنه أيضًا حلم كل فلسطيني ... ولكن الأحلام وحدها لا تبني المدن ... بل الكفاح ... والتضحية بالنفس والروح.

– صباح الخير يا «عثمان».

انتبه «عثمان» للصوت ... فتلفَّت يبحث عنه ... فوجد تليفونه المحمول مغلقًا ... وساعته أيضًا ... وأنهى حيرته نفس الصوت وهو يقول له: أنا كمبيوتر السيارة ... ويسعدني أن أرافقك في رحلتك.

ابتسم «عثمان» وهو يجيبه قائلًا: وأنا أيضًا ... ألديك أخبار؟

الكمبيوتر: نعم ... الجو اليوم صحو ... درجة الحرارة هنا عشرون درجة وأنت مزاجك معتدل ... ولكن حرارتك مرتفعة قليلًا.

عثمان: لا تقلق ... فقط أخبرني هل هذه السيارة مجهَّزة؟

الكمبيوتر: السؤال غير واضح.

عثمان: أقصد ما إمكانيات هذه السيارة؟

الكمبيوتر: هذا أفضل ... هذه السيارة هي أحدث سيارات الدفع الرباعي ... وهي مهيئة لتفادي العوائق ...

فقاطعه «عثمان»: وسأله قائلًا: تقصد كالسيارة البراق؟

الكمبيوتر: لا ... فهي لا تطير ... ولكنها مجهَّزة بأجهزة رادار متطوِّرة ... وأجهزة استشعار غاية في التقدُّم تُمكِّنها من تفادي العوائق ... كذلك التوجيه عن بُعد عن طريق الأقمار الصناعية.

عثمان: تقصد القيادة الآلية؟

الكمبيوتر: أنا أقصد التوجيه فقط، أي التزويد بالمعلومات وإعطاء النصائح والإرشادات.

عثمان: ولكن تظل القيادة لي أنا.

الكمبيوتر: بالطبع!

عثمان: وهل هي مسلحة؟

وقبل أن يجيب على سؤاله قال له: نحن على مشارف الإسماعيلية ... هل ستستقل العبَّارة؟

عثمان: نعم ... وأعرف أين هي.

وعاد الكمبيوتر يجيب على سؤاله قائلًا: هذه السيارة مسلَّحة تسليحًا متطوِّرًا للغاية ... وقدرتها الدفاعية هائلة.

عثمان: وهل بها أسلحة؟

الكمبيوتر: للاستخدام البشري؟

عثمان: نعم.

الكمبيوتر: سأدلك عليها وقتما تريدها.

كانت السيارة قد دخلت مدينة الإسماعيلية ... وقطعت طريق «نمرة ٦» ووصلت إلى العبَّارة ... والتي كان يقف أمامها طابور سيارات كبير.

وسمع في هذه اللحظة موسيقى تنبعث من تليفونه المحمول ... فضغط زر الاستقبال فعرف أنه «أحمد» فقال له: صباح الخير يا «أحمد»!

أحمد: أما زلت مريضًا؟

عثمان: لا ولكنها بعض الآثار الجانبية.

أحمد: لماذا إذَن وافقتَ على السفر؟

عثمان: تقرير المركز الصحي للمقر هو الذي وافق.

أحمد: وأين أنت الآن؟

عثمان: في طريقي إلى العبَّارة.

وعلَت أصوات آلات التنبيه من السيارات التي تقف خلفه ... فأغلق زجاج السيارة ولم يعبأ بهم ... إلى أن تحرَّكَت السيارة التي أمامه ... فتحرَّكَ خلفها ... صاعدًا إلى العبَّارة التي لم تلبث أن تحرَّكَت فقد شغلَت سيارته آخِر مساحة خالية عليها.

وما إن وصلت إلى القنطرة شرق ... حتى اندفعت السيارات تغادرها إلى الطريق الدولي.

وبالطبع كان هو آخِر المغادرين ... وهالَه عدد السيارات الواقفة في ثلاثة صفوف ... في انتظار مكانًا لها على العبَّارة.

وانطلق على طريق القنطرة شرق ... والذي أصبح تابعًا لمحافظة الإسماعيلية ... وأسعده كثيرًا أن رأى بعض المدن السكنية تقيمها الدولة على يمين الطريق.

وكان الطريق خاليًا تمامًا ... فقد تفرَّقَت السيارات في مسارات فرعية في اتجاه بعض القرى وقفز عداد السرعة تدريجيًّا وبسرعة شديدة إلى أكثر من مائة كيلومتر ... ثم ازداد حتى مائة وخمسين ... والسيارة لم تهتز ... لأن الطريق وحيد ... ولأن السيارة متطوِّرة للغاية ... وتتابعت الكثبان الرملية على جانبَي الطريق ما بين مرتفع ومنخفض ... تنتشر عليها الأعشاب البرية ... والشجيرات التي أنبتها ماء المطر.

أما عن بُعد ... وفي عمق أرض سيناء ... فقد لاح النخيل بأعداد وفيرة مرَّة ... واختفى مرَّة أخرى ... وظهر متناثرًا هنا وهناك مرات كثيرة.

وتنفَّس «عثمان» بعُمق ... ثم غمغم قائلًا: تحتاج هذه الأرض إلى مليارات كي تُعمَّر ... ولكنها ستضيف إلى «مصر» مساحة هائلة تفوق مساحة كل محافظاتها.

وبسرعة غادرت السيارة القنطرة وجلبانة وقرب بالوظة لَمح على الطريق معسكرًا للكشَّافة ... به ثلاث خيام.

فلم يلتفت لها كثيرًا ... إلا أنه بعد أن مرَّ بها وابتعد عنها بمسافة ليست كبيرة ... توقف على جانب الطريق ... وانتظر حتى خلا الطريق تمامًا ... ثم استدار عائدًا ... وعندما دنا منها ... خرج بالسيارة عن الطريق الأسفلتي ... وتوقف بها فوق الرمال ... ثم عبَر الطريق سائرًا إلى الضفة الأخرى منه ... وفي حذر نزل على منحدر تغطيه الرمل جاريًا ... حتى وصل إلى السور السلكي الذي يحيط المعسكر وهو مندهش ... فمن أين حصل أشبال

الكثافة على هذا السلك الشائك؟ ولماذا يحيطون معسكرهم به؟ إنها المرَّة الأولى التي يرى فيها معسكرًا للكشافة محاطًا به سلك شائك ... وظنَّ للحظة أنه لربما يكون قد أخطأ، غير أنه عاد وألقى نظرة على العلم المرفوع فوق قمة الخيمة ... فتأكد له ظنه.

ومن وراء الخيمة ... خرج كلب أسود ضخم عريض الفم ... أفطس الأنف ... وسار نحوه في حذر وهو ينظر له شذرًا. فصفَّر له «عثمان» بصوت خافت ... فهز ذيله ... وأخذ يجري ويدور حول الخيمة ... ثم يقترب منه ويحاول الخروج من السلك فلا ينجح ... و«عثمان» يتابعه في دهشة ... فحتى الآن لم يرَ أحدًا من أعضاء هذا المعسكر ... فأخذ ينادي قائلًا: هل يوجد هنا أحد؟

القتيل!

أصاب اليأس «عثمان» ... فعبر السلك ... ولدهشته لم يضايقه الكلب بل الباب أخذ يطوف حوله ... ثم يتركه ويجري إلى باب الخيمة.

فسار «عثمان» خلفه، حتى وجد باب الخيمة وكان مغلقًا ... فقام بفتحه ... فسبقه الكلب إلى الدخول جريًا ... فدخل وراءه ... فرأى شابًّا ممدَّدًا على الأرض وعينيه جاحظتَين.

وبفحصه عرف أنه مصاب برصاصة في صدره ... وأنه فارق الحياة ... فقام بتفتيش ملابسه فلم يعثر معه على بطاقة تحقيق شخصية أو أية أوراق يعرف منها مَن هو.

وبحذر شديد قام بفحص المكان حوله ... وتفتيش أمتعته تفتيشًا دقيقًا ... فلم يجِد أية أوراق تُثبت هويته غير أنه لاحظ أن المكان قد تم تفتيشه ... فعرف أن أحدًا قد دخله من قبله ... وأنه هو الذي قام بقتله.

ومن باب الخيمة ... وفي حذر شديد خرج تاركًا الكلب جالسًا بجوار صاحبه يعوي بصوت خفيض وهو يلعق وجهه.

ودار حول الخيمة باحثًا عن زملاء ذلك القتيل ... أو أي دليل يرشده لقاتله ... فلم يجد فقام بالاتصال بالمنظمة ... فلم يجد بالمقر غير ضباط الاتصال ... الذي حوله على القائد الأعلى ولم يجد مفرًّا من أن يحكي له ما حدث ... فأمره أن يستمر هو في طريقه ... ويترك كل شيء كما هو ... وسيُبلِّغون هم السلطات المختصة لتقوم بواجبها.

فحدد له الموقع بدقة ... وخرج هو من المعسكر ... وعبَر الطريق إلى حيث تقف سيارته فلم يجدها.

كانت مفاجأة غير متوقَّعة له ... فالسيارة مؤمَّنة تأمينًا كاملًا ضد السرقة ... فكيف سُرقت؟

وكعادة الشياطين في مثل هذه المواقف الصعبة ... لا يفقدون صوابهم ... بل يُعملون تفكيرهم ويُمنطقون الأحداث ... وهذا ما قام به «عثمان» ... فقد دار حول نفسه ... يبحث عمَّا يرشده إلى كيفية سرقة سيارته ... لفت نظره أول الأمر ... أن إطارات السيارة لم تترك آثارًا خلفها إلا في مكان وقوفها فقط ... أما الآثار التي أحدثتها عندما نزل بها من الشارع إلى الرمال ... فقد انمحت.

أما ما كان واضحًا جيدًا ... في نفس المكان ... فهو آثار جنزير دبابة أو مصفحة ... أو لودر عملاق ... أو كرَّاكة من كرَّاكات الحفر.

إذَن فالسيارة قد تم حلُّها لا جرُّها وإلا تركت آثارًا غائرة في الرمال.

والذي حملها هو قاتل هذا الشاب الراقد في الخيمة.

وهو يعمل إمَّا في كتيبة عسكرية ... أو في شركة مقاولات.

وسرح «عثمان» لدقائق ثم عاد يغمغم قائلًا: ولماذا لا يكون سارقًا لهذه الآلة أيضًا ... أو أنه احتفظ بها منذ هروب القوات الإسرائيلية من «سيناء» وخبَّأها عن عيون السلطات ... والناس هنا تحمي بعضها وبالتالي لا يحكي أحدٌ منهم عمَّا يراه في باديته بين أهله وعشيرته.

إن المسألة معقَّدة جدًّا ... ولا يجدي فيها غير الاتصال بالشياطين ... بل بالزعيم نفسه ... نعم ... نعم ... سأتصل برقم «صفر».

ومدَّ يده إلى جراب تليفونه المحمول ... فوجده فارغًا ... فانزعج بشدة ... إنه لا يتذكَّر أنه تركه في مكان ما ... فهل سقط منه ... وهرول عائدًا إلى الخيمة.

وأثناء عبوره السور السلكي الشائك ... علق السلك بملابسه ... وجرح ساقه وسال دمه إلى حد النزف ... فأكمل عبور السلك ... ثم بوابة الخيمة الأخرى ... والتي لم يدخلها ... فوجد قتيلَين آخَرين ... فأخذته الحيرة والدهشة ... وعاد مسرعًا إلى الخيمة الأولى يبحث عن تليفونه المحمول ... إلا أن مفاجأة أخرى جعلَته يُهمل كل ذلك ولا يلتفت إلى ساقه التي تنزف ... ذلك أنه لم يجد لا القتيل الأول ... ولا الكلب ... فهرول عائدًا إلى الخيمة الثانية ... والتي رأى بها قتيلَين آخَرين ... علَّه يجد هذا القتيل بينهما.

وفي حذر ... وتوتُّر ... قام بفحص جثَّتَي القتيلَين ... فلم يجده بينهما ... فالملامح مختلفة ... وموقع الرصاصة في كلِّ جثة مختلف ... فأحدهما مضروب في ظهره والآخَر في ساقه وفي رأسه.

وفي غمرة دهشته ... تذكَّرَ أن هناك خيمة لم يدخلها ... وفي حذر شديد اقترب منها ... وقبل أن يبلغها دوَّى صوت انفجار مُروِّع ... هزَّ الأرض من تحت قدمَيه.

واشتعلت النيران في الخيمة الثالثة.

ولم تمضِ سوى لحظات ... قبل أن ترتفع ألسنة اللهب عاليًا ... لتزيد من دهشته وحيرته.

وقرَّر أن يتصل مرَّة أخرى بالمنظمة ... وتذكَّرَ أن تليفونه المحمول ضائع وعليه أن يبحث عنه في الخيمة الأولى.

وتخلَّص بصعوبة من دهشته وهرول مسرعًا إلى الخيمة ليبحث عن تليفونه.

غير أن الانفجار الأول تكرَّرَ في نفس الخيمة!

وبسرعة شديدة ... ابتعدَ عن الخيمة الثانية ... وقد كان قريبًا منها جدًّا.

ولولا حُسن حظه ... وصواب تفكيره.

ما عاد إلى الشياطين مرَّة أخرى.

فما حدث في الخيمتين ... تكرَّرَ في نفس الخيمة ... وتحوَّل المعسكر كله إلى سحابة دخان ترقص بداخلها ألسنة اللهب.

لم يترك تلاحق الأحداث فرصة لـ «عثمان» لكي يفكِّر ... لذا ... فقد خرج إلى الطريق يبحث عن وسيلة مواصلات تحمله إلى العريش ... أو عائدًا إلى الإسماعيلية.

وبجوار الطريق ... رأى جزع نخلة ضخمًا ممدَّدًا على الأرض ... فجلس عليه يستجمع قواه ... ويجمع شتات تفكيره ... ويسترجع ما حدث حتى الآن.

وأثناء استغراقه في التفكير ... ومضت له فكرة لم ينتبه لها من قبل.

وهي أن يتتبَّع آثار الجنزير الذي رآه في الموقع الذي سُرقت فيه السيارة.

وسأل نفسه إنْ كان يستطيع القيام بهذا وليس لديه إلا مسدسه الخاص ... وكرته الجهنمية ... وليس لديه وسيلة اتصال إلا ساعته.

ورأى أنه من الصواب أن يعود إلى الإسماعيلية، ويقوم بالاتصال بالمنظمة ... ليحصل على تجهيزات أخرى ... وسيارة يستطيع بها تتبُّع المجنزرة سارقة السيارة.

ويحل لغز ما حدث بمعسكر الكشافة.

وتذكر أن لديه ساعة يده ... فضغط زرًّا وقرأ الآتي «أحمد» لقد ضاعت سيارتي وبها كل معداتي في منطقة بالوظة على الطريق الدولي ... وفقدتُ تليفوني المحمول ... ووقعَت حولي هنا حوادث قتل وانفجارات والبوليس في الطريق.

وما إن انتهى من إرسال الرسالة وإغلاق الساعة ... حتى شعر بوخز في رسغه من ساعة يده ... فضغط زرًّا بها وتلقَّى رسالة «أحمد» ... والتي يقول له فيها: «إن كنت تتوقَّع

حضور البوليس إلى موقع هذه الحوادث ... فلا تبقَ فيه ... وتحرَّكْ بسرعة ... وانتظرني في نقطة مُميَّزة على الطريق وحدِّدها لي ... فأنا في الطريق إليك.»

كان «عثمان» قد انتابته رعشة خفيفة من تأثير المجهود الذي بذله ... وشعر بدوار وصداع شديد في رأسه ... فهو لم يأكل شيئًا حتى الآن ... ولم يبرأ بعدُ تمامًا من الإنفلونزا ... ولم يستطع مغادرة مكانه ... وهو يعرف أن البوليس في طريقه الآن لمنطقة الحادث بعد أن أبلغ به المقر.

ورغم كل ذلك تحامَلَ على نفسه ووقف رغمًا عنه ... وسار ببطء مبتعدًا عن جزع الشجرة ... وعن موقع الأحداث.

سار يلهث والعرق يتصبَّب منه ... وأنفاسه تتلاحق.

وانتصفت الشمس في كبد السماء ... واشتدت حرارتها.

وجفَّ حلق «عثمان» ... والْتصقَ لسانه بفكِّه العلوي.

ولم يستطع أن يتمالك نفسه وهو يهوي ساقطًا ... مغشيًّا عليه.

إلهام والتقرير!

عندما طلب «أحمد» طائرة هليكوبتر من قيادة المنظمة ... لم ترفض طلبه لأنها تستكثر عليه هذا ... لا ... بل كان مبررًا منطقيًّا ... فرقم «صفر» لا يريد لفت الأنظار لـ «عثمان» فهم لم يحصوا كل العملاء الذين يتعاملون مع «إسرائيل».

هذا بالإضافة إلى أن لإسرائيل وسائل أخرى للتجسُّس.

ورغم أنهم يعرفونها جيدًا ... ويسيطرون عليها.

إلا أنهم لا يريدون استثارتها.

وعندما علم «أحمد» بذلك ... اقترح عليهم أن ينزل بالطائرة في جلبانة ... ثم يكمل الطريق بالسيارة حتى «بالوظة».

وأثناء مناقشته الأمر مع الخبير الأمني للمنظمة اتصل به رقم «صفر» قائلًا: متى ستتحرك يا «أحمد»؟

أحمد: الآن يا زعيم!

رقم «صفر»: بالطائرة؟

أحمد: نعم.

رقم «صفر»: وستنزل في نقطة أخرى ... أليس كذلك؟

أحمد: نعم!

رقم «صفر»: وكيف ستصل لـ «عثمان»؟

رقم «صفر»: بالاتصال به؟

أحمد: وأبلغته؟

رقم «صفر»: لا ... لم أبلغه.

أحمد: لماذا يا زعيم؟

رقم «صفر»: لأنه لا يجيب يا «أحمد»؟

أحمد: هل اتصلت به على ساعته؟

رقم «صفر»: طبعًا ... فأنا أعرف أن تليفونه مفقود!

أحمد: إنه في خطر يا زعيم ... فهو لم يبرأ بعدُ من الإنفلونزا.

رقم «صفر»: كيف ستحصل عليه إذَن؟

أحمد: عن طريق أحد عملائنا هناك.

رقم «صفر»: أنا لا أريد أن يعلم أحد عن الموضوع شيئًا.

أحمد: إذَن سأتحرك أنا.

رقم «صفر»: كن على اتصال بي.

أحمد: سيحدث يا زعيم.

رقم «صفر»: وفقك الله!

وقبل أن يغلق تليفونه ... سمع هدير مروحة الطائرة الهليكوبتر آتيًا من الفناء الخلفي للمقر ... فجمع أغراضه ونزل مسرعًا ... وفي يده مسدَّس يضعه في جرابه ... وعلى كتفه سترته تكاد تسقط.

وفي خطوات واسعة ... قطع الفناء ... ثم حيَّا قائد الطائرة وهو يقفز بداخلها قبل أن يقول له: سأقود أنا لو سمحت.

وفي احترام بالغ وامتثالًا للأوامر ... تحرك قائد الطائرة تاركًا مقعده لـ «أحمد» ونزل يدور حولها ... ويصعد ليجلس على الكرسي المجاور ... في الوقت الذي انتقل فيه «أحمد» إلى مقعد القيادة.

وما إن استقرَّ عليه حتى قال له: ستعود إلى هذا المقعد بعد ساعة ... لأنك ستعود بالطائرة وحدك.

ونظر له قائد الطائرة مليًّا قبل أن يقول له: وأنت يا سيد «أحمد»؟

أحمد: سأغادرها.

قائد الطيارة: إلى أين؟

وفي حزم ... وبدون أن ينظر له ... أجابه قائلًا: عملية سرية.

وابتسم قائد الطائرة في رضًا وهو يقول: أفهم يا سيدي.

وسحب «أحمد» عصا السرعة ... وجنت محركات الطائرة ... وصعدت عموديًّا، ودارت في الهواء حول نفسها ... وكأنها تدور حول محور مثبَّت في الأرض ... ثم انطلقت تغادر

أفق المقر ... وتنزلق على دوامات هواء منطقة الأهرامات ... لتغادرها إلى فضاء المقطم في اتجاه الإسماعيلية.

وعندما انطلقت الموسيقى من تليفونه المحمول ... كان قد قطع ثلث المسافة إلى بالوظة.

وعندما ضغط زر الاستجابة ... عرف أن «إلهام» هي التي تطلبه ... فجاوبها قائلًا: أين أنت يا «إلهام»؟

إلهام: في المقر أحاول الاتصال ﺑ «عثمان».

أحمد: لن يجاوبكِ.

إلهام: كيف عرفت؟

أحمد: لقد حاولت وحاول رقم «صفر».

إلهام: هذا لا يعني أنه لن يجاوب ... فقد يكون تليفونه مغلق.

أحمد: لقد فقدَ تليفونه.

إلهام: كيف عرفتَ؟

أحمد: لقد اتصل بي.

إلهام: وكمبيوتر السيارة.

أحمد: لقد فقد السيارة.

إلهام: كيف؟

أحمد: لا أعرف.

إلهام: إنه في مأزق خطير ... فالسيارة مجهَّزة تجهيزًا متطوِّرًا ... وبها أسلحة خطيرة.

أحمد: أخشى أن تقع في يد عصابات تهريب المخدرات.

إلهام: أو الإرهابيين.

أحمد: أو أحد عملاء إسرائيل.

إلهام: إن وقوعها في يد شخص عادي خطر ... فالكمبيوتر الملحق بها عليه أسرار خطيرة وحساسة جدًّا تهم المنظمة.

أحمد: كيف عرفتِ؟

إلهام: قرأت تقريرًا علميًّا على شبكة معلومات المنظمة يتحدَّث عنها.

أحمد: وهل هذا الموقع متاح للجميع؟

إلهام: لا ... لا ... لقد أعطاني مفتاح الموقع رقم «صفر».

أحمد: متى؟

إلهام: اليوم ... منذ ساعة تقريبًا.

أحمد: فهمت.

إلهام: فهمت ماذا؟

أحمد: إنهم يبحثون عن وسيلة لتفجيرها عن بُعْد.

إلهام: وما علاقة قراءة التقرير بذلك؟

أحمد: لأنك أنتِ التي ستفجِّرينها.

الهبوط في جلبانة!

اندهشت «إلهام» لما يقوله «أحمد» ... فهي لا تعرف موقع السيارة ... ولا تعرف شيئًا عن «عثمان» ... والتقرير الذي قرأته عن السيارة ... ليس به شيئًا عن تفجيرها ... فمن أين أتى «أحمد» بهذه الأخبار ... وبالفعل سألته هذا السؤال قائلة: من أين أتيتَ بهذه الأخبار؟

أحمد: إن كل مقراتنا ... وسياراتنا بها خاصية التدمير عن بُعد ... تحسُّبًا لموقف مثل ...

إلهام: ولكنه ليس بها خاصية التدمير عن بُعد بواسطة «إلهام».

أحمد: إنه استنتاج منطقي.

إلهام: لا أرى فيه منطقًا.

أحمد: إذَن، لماذا طلب منك الزعيم قراءته؟

إلهام: لإيجاد البديل الجاهز لـ «عثمان».

ابتسم «أحمد» في سعادة ... فقد أعجبه استنتاج «إلهام» ... ورأى فيه تفسيرًا منطقيًّا لما طلبه منها رقم «صفر» ... ولم يسمعها إلا عندما كرَّرت عليه سؤالها قائلة: أين أنت الآن؟

أحمد: أنا في طائرة هليكوبتر أحلِّق فوق القنطرة غرب.

وبسعادة قالت له: إذَن أنت في طريقك لـ «عثمان».

أحمد: هذا صحيح.

إلهام: كُن على اتصال دائم بنا.

أحمد: سيحدث ... شكرًا!

إلهام: شكرًا!

نظر «أحمد» لقائد الطائرة بعد أن أغلق تليفونه وقال له: أظنك قد عرفت الآن تفاصيل كثيرة عن المهمة التي أقوم بها.

نظر قائد الطائرة له في تساؤل للحظات ثم قال له: لا تقلق يا سيد «أحمد».

أحمد: كيف سأقلق منك وأنت عضو في المنظمة؟

قائد الطائرة: هذا ما قرأته على وجهك.

أحمد: اعذرني ... أنت لا تعرف لغة وجهي.

قائد الطائرة: وهل للوجوه لغة؟!

أحمد: أنت الذي قلت ذلك!

قائد الطائرة: أنا لم أقصده!

أحمد: ولكنه حقيقة.

قائد الطائرة: تقصد ...؟

أحمد: نعم للوجوه لغة ... ولليدين لغة ... وللسان لغة.

قائد الطائرة: أين تعلَّمتَ كلَّ ذلك يا سيد «أحمد» ... ومتى؟

أحمد: في كل مكان ... وفي كل وقت.

قائد الطائرة: نحن نعرف أنكم أكثر أعضاء المنظمة تميزًا.

لم يتجاوب «أحمد» مع إطراء قائد الطائرة ... وآثَر أن يغيِّر الموضوع ... فقال له: لقد غادرنا «جلبانة».

قائد الطائرة: إن «بالوظة» على بُعد دقائق من هنا.

أحمد: أيمكنك أن تبحث معي عن مكان مناسب للهبوط؟

قائد الطائرة: هل سنفترق هنا؟

ابتسم «أحمد» وقال له: لم يكُن البحث عن مكان مناسب للهبوط أمرًا صعبًا ... فالأرض على جانبي الطريق رملية مستوية وكان آخِر ما قاله قائد الطائرة لـ «أحمد» قبل أن يغادرها: إنك قائد ماهر يا «أحمد».

أحمد: أشكرك ... ولكن لا تُدِر المحرك قبل أن أُنزل السيارة من الخلف.

وقفز «أحمد» ... وقام قائد الطائرة بضغط زر بالتابلوه ... ففتح بابًا خلفيًّا بها ... ونزل طرفه حتى لامس الأرض ... وظلَّ الطرف الآخَر معلقًا بالطائرة.

وصعد «أحمد» إلى بطن الطائرة ... فاستقلَّ السيارة «اللاندكروزر» القابعة فيها ... وأدارها ثم رجع بها إلى الخلف ... حتى غادر الطائرة.

وارتفع باب الطائرة مرَّة أخرى ... ثم دارت محركاتها ... بإشارة من «أحمد» ... وجنت مروحتها ... وارتفعت وقائدها يتمنَّى ﻟ «أحمد» التوفيق.

وفي الوقت الذي انطلق فيه «أحمد» بسيارته على الطريق، كانت الطائرة من فوقه ... تتابعه فاتصل «أحمد» بقائدها يسأله قائلًا: إلى أين أنت ذاهب؟

القائد: سأدور في المنطقة قليلًا قبل أن أعود.

أحمد: إذَن اسبقني وابحث معي عن «عثمان».

القائد: سيحدث.

ابتعدت الطائرة عن عيني «أحمد» حتى تلاشت تمامًا ... غير أنه عندما ارتفع مع الطريق عاد ليراها مرَّة أخرى ... فالطريق الدولي في سيناء ... يرتفع وينخفض، ممَّا يسمح للطائرة بالاختفاء ... وكذلك السيارة عند الابتعاد لمسافات.

وشاهد الطائرة ... وهي تدور في كل مكان بحثًا عن «عثمان» إنهم الآن في منطقة بالوظة ... وآثار المعسكر المحترق تنبئ عن قرب مكان «عثمان». فأين هو؟

وأكثر من مرَّة حاول «أحمد» الاتصال إلا أنه لم يفلح.

وعندما انطلق الصفير المتقطِّع من كمبيوتر السيارة ... ظنَّ أن الذي يتصل هو «عثمان» ... غير أنه عند تلقِّيه الاتصال ... عرف أن قائد الطائرة ... الذي قال له: لقد مسحت كل المنطقة ... فلم أجده.

أحمد: شكرًا لك، تستطيع أن تعود.

قائد الطائرة: لولا أن الوقود لم يعُد يكفي إلا للعودة ...

ولم يتركه «أحمد» ليكمل كلامه ... بل قال له: لا عليك لقد قمتَ بأكثر مما طلبته منك ... إلى اللقاء!

ودارت الطائرة في السماء حول نفسها ... وقائدها يقول له: إلى اللقاء.

شعر «أحمد» أنه أصبح وحده ... وأن عليه التحرُّك بسرعة لإنقاذ «عثمان»، فهناك مهمة أخرى تنتظره بعد ذلك. وهي إنقاذ «باسم».

وعلى يمين الطريق رأى جذع نخلة وبجواره مسدس تُخفي بعضَه الرمال.

فتوقَّف على بُعد خطوات منه ... ثم اقترب منه على حذر. وانحنى يلتقطه.

فقرأ على يده حرفين عرف منهما أن هذا المسدس يخصُّ «عثمان».

وأن طرف الخيط أصبح في يده ... فقام بالاتصال برقم «صفر» وأخبره بما وصل إليه ... فقال له: «عثمان» في أمان.

أحمد: أين الزعيم؟

رقم «صفر»: مع الأعراب.

أحمد: وهل يعرفونه؟

رقم «صفر»: لا.

أحمد: ومَن أبلغك إذَن؟

رقم «صفر»: عميلنا هناك.

الغواصة!

عرف «أحمد» أن «عثمان» مع الأعراب ... ولكن أين ... وكيف يتصل به ... وكيف يصل إليه ... فعاود الاتصال برقم «صفر» الذي جاوبه قائلًا: أهلًا يا «أحمد» هل وصلتَ إلى شيء؟

أحمد: لا يا زعيم ولكني أريد أن أصل!

رقم «صفر»: كيف؟

أحمد: أريد أن أعرف «كيف» هذه منك.

رقم «صفر»: هناك رجل من مشايخ «رفح» موجود الآن في «بئر العبد» اسمه «أبو عتيق» ... إن استطعتَ الوصول إليه سيقرِّبك خطوة من «عثمان».

أحمد: هل بيانات هذا الرجل على ذاكرة كمبيوتر المقر؟

رقم «صفر»: نعم.

ما إن أنهى مكالمته مع رقم «صفر» حتى قام بتسجيل اسم الشيخ «أبو عتيق» على الكمبيوتر وطلب منه البحث عنه في ذاكرته النشطة.

وفي لحظات عرضت شاشته صورة للشيخ مذيلة ببيانات كاملة عنه.

ولم يكُن «أحمد» يريد إلا صورته ... فقام بتكبيرها على الشاشة ... وأخذ يتفحصها جيدًا حتى حفظها ... ثم قام بالبحث عن أسماء تتعلق بهذا الرجل ... فعرف أن له ابنًا اسمه «حسن». قد سُجِنَ في «إسرائيل» لأنه كان يهرِّب أسلحة للفلسطينيين عَبْر شعاب لا يعرفها إلا هو وعشيرته.

وقد استطاع الهروب رغم الحراسة المشدَّدة على السجن.

فهو يعرف كيف يكسب الجميع في صفه.

ويعامل كل إنسان من منطلق نقطة ضعفه.

وقد بحثَ عنه الإسرائيليون كثيرًا فلم يجدوه، ذلك أنهم لم يعرفوا أنه في سيناء وبجوارهم ... في «رفح» وليس بينهم وبينه إلا الأسلاك الشائكة.

أُعجِب «أحمد» بشخصية «حسن» ... وآثَر أن يقرأ عنها المزيد ... ليعرف عنها المزيد ... وقد كان المزيد مدهشًا.

ف «حسن» قصير القامة، قليل الجسم مثل أبيه ... حلو الملامح ... خمري اللون ... باسِم الوجه ... ثاقب النظرات ... على صغر سنه ... فهو حكيم، نشط جدًّا ... ولا يزال يساعد أطفال الانتفاضة ... ولا يزال يساعد الجرحى وينقلهم عَبْر شعاب لا يعرفها إلا هو إلى مستشفيات «العريش» و«الإسماعيلية».

انتهى «أحمد» من قراءة التقرير ... وقد شعر أنه اقترب كثيرًا ... ليس من «عثمان» فقط ... ولكن من «باسم» أيضًا.

ولم يتبقَّ إلا السيارة ... وهو يشعر أنها لغز ... فحتى الآن لم يعرف أعوان رقم «صفر» عنها شيئًا ... فأين ذهبت؟

وهل هي في «سيناء» أم لا؟

وقرَّر أن يؤجِّل البحث عن السيارة إلى أن يجد «عثمان».

واستكمل السير إلى «العريش».

وعندما بلغ محطة الكهرباء عند مدخل «العريش» رأى قاربًا مطاطيًّا يقف في الماء بمحاذاة الشاطئ.

فانحرف بالسيارة ... ودخل في الرمال ... وسار لمسافة حتى بلغ الشاطئ ... فغادر السيارة ... ليستطلع أمر القارب ... وانشغل به ... ولم ينتبه إلا على صوت محرك السيارة يدور وفي خطوات قليلة رشيقة ... كان جالسًا فوق مقدمة السيارة ... وهي تنطلق ومحركها يزمجر في قوة ... غير أن الرمال لا تساعد عجلاتها على الجري.

وقد ساعد ذلك «أحمد» على أن يقف فوقها ويصعد إلى ظهرها ... ثم ينزلق إلى نافذتها الأمامية المجاورة للسائق ... وينام على ظهرها ... ويمد يده ليمسك به.

فيغلق الزجاج على يده.

غير أنه يخلصها بسهولة.

وقبل أن تخرج على الطريق ... سحب أمان مسدسه ... وأطلق رصاصة على عجلتها الأمامية ... فدوَّى صوت انفجار الإطار.

وأصبح من العسير السير به على الرمال.

ومن خلفه سمع صوت محرك القارب يدور.

فالْتفتَ فرأى أربعة رجال يرتدون ملابس الغوص.

وقبل أن يلتفت ... كان سارق السيارة قد غادرها ... وانطلق يجري ... فأطلق عليه رصاصات متتابعة ... غير أنها لم تصبه ... لأنه كان يجري في مسار متعرج.

فانطلق يجري وراءه، آملًا أن يلحقه قبل أن يركب القارب ... فلم يلحقه.

وانطلق القارب قبل أن يميز «أحمد» وجود مَن فيه.

فقفز في الماء بملابسه آملًا أن يلحقهم ليرى وجوههم.

إلا أنهم اختفوا فجأة.

فعاد إلى سيارته ... وقام باستبدال ملابسه المبتلة ... وأخرج بعض السندوتشات.

وجلس خلف عجلة القيادة يتناول غداءه ... ويبحث عن مزيد من المعلومات في ذاكرة الكمبيوتر ... وانطلقت من تليفونه المحمول موسيقى رقيقة ... فضغط زر الإجابة ... وعرف أن «إلهام» تطلبه ... فداعبها قائلًا: ألا يوجد غيرك في المقر؟

إلهام: هل وصلت إلى شيء؟

أحمد: نعم ... لقد كادت سيارتي أن تُسرَق.

إلهام: وهل أمسكت باللصوص؟

أحمد: لقد هربوا في قارب مطاطي.

إلهام: هل رأيتهم؟

أحمد: نعم ... ولكني لم أرَ وجوههم.

إلهام: لماذا؟

أحمد: لقد كانوا يرتدون ملابس الغطس.

إلهام: أهُم صيادين؟

أحمد: لا ... بل أشك أنهم جنود إسرائيليون.

إلهام: قوات خاصة؟

أحمد: نعم.

إلهام: وكيف وصلوا إلى «العريش»؟

أحمد: في غواصة.

إلهام: ماذا تقول؟

أحمد: ما سمعتِه.

إلهام: وكيف عرفت؟

أحمد: أنا لم أعرف ... أنا أخمِّن.

إلهام: وما معطياتك؟

أحمد: عندما طاردتُه سِباحةً ... اختفوا فجأة!

إلهام: وأين قاربهم؟

أحمد: لقد أتت به الأمواج الآن إلى الشاطئ.

محاولة اختطاف!

استمع «أحمد» إلى نصيحة «إلهام» ... وذهب إلى الشاطئ وعينه على السيارة، والْتقطَ القارب ... واستطاع أن يسحبه إلى الشاطئ وأخذ يفتِّش فيه عمَّا يدل على جنسية أصحابه ... فتأكد ظنه حين عرف أين صُنِع هذا القارب ومحركه.

فعاد واتصل بـ «إلهام» وأبلغها بصدقِ ظنِّه فقالت له: وهل تظن أنهم مختطفو «عثمان»؟

أحمد: لا، بل أظن أنهم مختطفو السيارة.

إلهام: تستطيع أن تعرف!

أحمد: كيف؟

إلهام: أليس لديك برنامج الاتصال بها؟

أحمد: لا.

إلهام: سأبثه على كمبيوتر السيارة.

أحمد: وإذا كانت السيارة معهم الآن في الغواصة؟

إلهام: اتخذ قرارك بحرية.

أحمد: سأفجِّرها.

إلهام: وتفجِّر معها الغواصة؟

أحمد: نعم.

إلهام: لن أدع هذا المنظر الفريد يفوتني.

أحمد: ماذا ستفعلين؟

إلهام: أنا في الطريق إليك.

تمنَّى «أحمد» أن تتم هذه الخطة بنجاح ... غير أن سؤالًا طرأ على ذهنه ... جعله يتراجع بقوة ... وكان السؤال هو: هل «باسم» على هذه الغواصة؟

إنه لن يستطيع أن يتم هذه الخطة إلا عندما يرى بعينه «باسم» و«عثمان».

إلا أن هذا لا يمنع من تنفيذ المراحل الأولى منها ... وهي التأكد من وجود السيارة بها.

لذا فقد عاد إلى سيارته ... وأدار جهاز الكمبيوتر ... وبحث عن البرنامج الذي وعدته به «إلهام» ... فوجده مخزنًا على الذاكرة الاحتياطية.

فأغلق أبواب السيارة ونوافذها ... وشرع يقرأ برنامج عمل هذه السيارة.

فعرف الكثير عن إمكانياتها ... وقام بإعداد برنامج استكشافي عَبْر الأقمار الصناعية ... وعندما انتهي منه ... أعطي الأمر بتنفيذه ... في الوقت الذي اتصلت فيه «إلهام» تسأله عن تلقيه البرنامج ... فأخبرها أنه يعمل الآن.

وقد كانت سعادته لا تُوصَف ... حين تلقَّى على جهاز الاستشعار عن بُعد استجابات تؤكِّد أن السيارة في الغواصة.

وحين اختبر برنامج التفجير ... تلقى منه استجابة فورية.

فقام بالاتصال برقم «صفر» ... وأخبره بما وصل إليه فطلب منه رقم «صفر» ألا يفعل هذا في المياه الإقليمية ... وأن ينتظر إلى أن تخرج إلى المياه الدولية.

فقال له «أحمد»: أنا أريد التأكد أنها لا تحوي أحدًا من رجالنا.

رقم «صفر»: مثل مَن؟

أحمد: «باسم» أو «عثمان».

رقم «صفر»: ألم تقابل الشيخ «أبو عتيق» بعد؟

أحمد: إني أريد الوصول لـ «حسن»!

رقم «صفر»: لماذا؟

أحمد: لأنه سيكون طريقنا لـ «باسم».

رقم «صفر»: قرار جيد.

أحمد: وأين أجده؟

رقم «صفر»: غدًا في التاسعة صباحًا ... ستجده في مبنى المحافظة ... وفي مكتب المحافظ.

أحمد: هل أكون مباشرًا معه؟

رقم «صفر»: نعم ... ولكن بعد أن يطمئن لك.

أحمد: و«عثمان»؟

رقم «صفر»: انتبه أنت لخطوة «حسن» ... ودع عملائنا يقومون بالباقي.

كان الليل قد حطَّ برحاله على كل سيناء ... ولأن الشمس غابت ... فقد غاب الدفء عن المكان.

لذا فقد أغلق «أحمد» أبواب سيارته عليه ... وقبع بداخلها ... يراجع خطته ومعلوماته على شاشة الكمبيوتر ... إلى أن غلبه النعاس ... فنام.

وأثناء نومه ... حلم أن الماء قد غمر السيارة ... وأنها تتأرجح وتكاد تغرق ... فاستيقظ من نومه متوترًا فرأى مجموعة من الرجال مرة أخرى ... بملابس الغوص ... يدفعون السيارة في اتجاه البحر.

فأدار محرك السيارة، وعاد للخلف فجأة ... فانقلبت منهم مجموعة ... وجرت الأخرى ... فجرى خلفها ... فتجمعوا كلهم في القارب المطاط ... فقرَّر ألا يتركهم يفلتون ... فأخرج مسدسه من نافذة السيارة ... وأطلق رصاصة على جسم القارب ... فدوَّى انفجار مروع ... وتناثرت أشلاء بعضهم ... وجرى الآخرون يصرخون إلى الماء ليطفئوا أجسادهم المشتعلة.

و«أحمد» في حيرة مما جرى ... لقد رأى انفجار القارب واشتعاله ... ولم يكُن يتوقع أن تفعل به رصاصة ذلك.

لقد كان يتوقَّع أن تثقبه الرصاصة فينفجر انفجارًا بسيطًا كأي بالونة منفوخة بالهواء، لكن هذا البالون لم يكُن به هواء ... بل غاز هيليوم حتى يستطيع حمل أكبر عدد من الرجال ... وينزلق على الماء في خفة وسرعة، وأغلق زجاج النافذة ... وانتظر زملاءهم بعد أن يسمعوا صوت الانفجار ... أن يأتوا ليطمئنوا عليهم ... ومرَّت ساعة ثم ساعتان ... ثم ثلاثة ... ولم يأتِ أحد.

وشعر «أحمد» بالإرهاق ... فاستسلم للنوم ويده على زناد مسدسه.

ومرَّ الليل دون أن يحدث شيء ... وما إن أشرقت الشمس ... وداعبت أشعتها عينَي «أحمد» حتى استيقظ ومد ذراعَيه لأعلى ليطرد عنه خمول النوم ... وقبل أن ينزلهما ... شعر بفوهة مسدس تلتصق بظهره ... وسمع من يقول له: لا تنزلهما.

اللقاء المثير!

حين نظر «أحمد» في مرآة السيارة ... صاح دهشةً وفرحًا ... فقد رأى «عثمان» يجلس بالكنبة الخلفية ... ممسكًا بالمسدس.

فصاح فيه قائلًا: أوه «عثمان» ... أين كنت يا رجل؟

عثمان: كنت في سيناء.

وانطلقت الموسيقى من تليفون «أحمد» وعرف أنها «إلهام» ... فجاوبها قائلًا: لك عندي مفاجأة.

وتوقعت «إلهام» ما سيقوله لها ... فقالت له: هل عثرت على «عثمان»؟

أحمد: بل هو الذي عثر عليَّ.

إلهام: كيف؟

عثمان: لقد كنت أتابعه منذ نزل من الطائرة في «جلبانة».

نظر «أحمد» إلى «عثمان» مندهشًا ... وقال له: وما الذي ذهب بك إلى «جلبانة»؟

عثمان: «حسن أبو عتيق».

أحمد: المناضل!

عثمان: نعم ... وهل تعرفه؟

«أحمد» أعرف عنه الكثير.

عثمان: وهل الْتقيت به؟

أحمد: لا.

عثمان: يا ليتك تلتقي به وبأبيه الشيخ «عتيق».

أحمد: وهل يعرفون شيئًا عن «باسم»؟

عثمان: لم يجيبوني.

أحمد: إذَن فهم يعرفون.

عثمان: لا أستطيع أن أجزم.

أحمد: وكيف وصلت إلى هنا؟

عثمان: سمعت صوت الانفجار فعرفت أنك هنا.

أحمد: وهل عرفت أين سيارتك؟

عثمان: لا ... هل عرفت أنت؟

أحمد: تقريبًا ... ولكن لن أخبرك الآن.

عثمان: لماذا؟

أحمد: إنها مفاجأة.

وحكى «أحمد» لـ «عثمان» عن الغواصة ... وعن الرجال الذين حاولوا سرقة السيارة ... وكان القرار النهائي ... هو سرعة البحث عن «باسم» عن طريق «حسن أبو عتيق» وغادر «عثمان» السيارة تاركًا «أحمد» ... الذي كان يتابعه ببصره وهو يغمغم قائلًا: لا أثر بمرض عليك يا «عثمان».

وعبر «عثمان» الطريق ... واختفى خلف الكثبان الرملية ... وغاب أكثر من ربع الساعة ... ثم عاد ومعه أعرابي من أهل «رفح» ... إنه «حسن».

وما إن رآه «أحمد» حتى غادر السيارة مسرعًا واحتضنه كعادة العرب.

وجلسا سويًّا على الرمال.

ولم يتمالك «أحمد» نفسه ... واندفع يسأل «حسن» قائلًا: هل حكى لك عن «باسم»؟

حسن: نعم.

أحمد: وهل رأيته؟

حسن: طبعًا.

أحمد: أين ومتى؟

«حسن»: رأيته في «رفح» الإسرائيلية ... منذ أربعة أيام ... يحادث «خالد جبور».

أحمد: ومَن «خالد جبور» هذا؟

حسن: إنه ابن عمه ... ولهم بيت في «رفح» المصرية على الحدود الإسرائيلية.

عثمان: ألم تره في أرض عربية؟

حسن: حتى الآن لا.

أحمد: وكيف نصل إليه؟

حسن: هذه لن أستطيع أن أحكيها ... دعوني أتمها بمعرفتي.

أحمد: سننتظر منك نتيجة.

حسن: إن شاء الله!

وحصل «أحمد» على رقم تليفون «حسن»، كما حصل «حسن» على رقم تليفوني «أحمد» ... وتركهم للأماني ورحل.

وقبل أن يعلِّق «عثمان» على ما حدث أخبره «أحمد» أنه ينوي الغوص ... لاستطلاع أمر هذه الغواصة.

ونظر له «عثمان» مليًّا ... قبل أن يخبره برأيه ... فقال له «أحمد»: ما رأيك يا «عثمان»؟

عثمان: إن الجو اليوم بارد للغاية ... وعمق الماء سيكون أكثر برودة.

أحمد: ولكن الأحداث تحت الماء ساخنة للغاية.

عثمان: افعل ما تشاء ... ولكن عندما تشعر بخطر على حياتك ... عُد بسرعة.

ارتدى «أحمد» ملابس الغوص بمجرَّد أن أتم اتفاقه مع «عثمان» ... ثم ضرب قبضتَي يدي «عثمان» بقبضتَي يده ... فتمنَّى «عثمان» له التوفيق ... وسار معه حتى بلغا الماء ... فأكمل «أحمد» سيره إلى أن توغل في الماء تاركًا «عثمان» على الشاطئ.

ولم تمضِ دقائق ... إلا واختفى «أحمد» تحته.

وما قاله «عثمان» كان صحيحًا ... فقد كان الماء باردًا للغاية ... مما دفعه للحركة جيئة وذهابًا كي يبث الدفء في أوصاله.

وشيئًا فشيئًا ... ابتعد «أحمد» عن شاطئ العريش ... وتوغل داخل البحر الأبيض باحثًا عن الغواصة الإسرائيلية.

وعلى الشاطئ كان «عثمان» يعد العدة للهجوم المرتقب ... فلم يكُن يعلم شيئًا عن أمر الغواصة ... التي آثَر «أحمد» أن تظل سرًّا بينه وبين «إلهام».

ولم تكُن «إلهام» تعلم ذلك ... حين وصلت إلى موقع السيارة ... فرأت «عثمان» وكان لقاءً حارًّا بينهما.

وحين سألته عن «أحمد» وعرفت أنه في قاع البحر ... أخبرته أنه يبحث عن غواصة تقع تحت الماء في المياه المصرية ... وأنها هي التي اختطفت السيارة.

الانفجار المروِّع!

ثارت ثورة «عثمان» حين علم بذلك ... ولولا تليفونه المحمول ما هدأ ... فقد اتصل به «حسن» وقال له «باسم» في الضفة الغربية وسيتصل بـ «أحمد».

وفي نفس الوقت ... كان «أحمد» قد عثر على الغواصة ... ورأى من خلال نوافذها مجموعة كبيرة من الرجال عندما رأوه ... ثارت ثورتهم ... وعلت جلبة محركاتها ... وعرف أنهم سيسارعون بمغادرة المكان خوفًا من افتضاح أمرهم.

وتأكد من أنهم لن يتركوه حيًّا.

وما كاد يبتعد عنها بضعة أمتار ... حتى سمع خلفه جلبة من الماء ... وعندما الْتفتَ إليها ... رأى فرقة من الرجال يرتدون بذلات الغوص ... ويطاردونه.

وقد كان أسرع منهم في الوصول إلى الشاطئ ... والخروج من الماء.

إلا أنهم لم يتركوه ... وجروا خلفه بعد أن تخلصوا من ملابس الصيد حتى لا تعرقلهم.

وعن بُعد صاح مناديًا على «عثمان» يطلب منه إدارة السيارة.

وقبل أن يبلغها ... كان مجموعة من الرجال يحيطون بها.

ومن خلف السيارة أخذ الرجال يتساقطون الواحد تلو الآخَر ... وما إن وصلت إلى آخرهم ... لم تجِد منهم أحدًا فقد عادوا جميعًا إلى الماء بعد أن استخدمت معهم «إلهام» أحدث وأشرس فنون القتال.

وبسرعة بدل «أحمد» ملابسه ... وحكى لهم ما رآه.

واقترحت «إلهام» عليه أن يتصل برقم «صفر» لإبلاغ الجيش المصري.

غير أنه كان ينتظر لحظة تنفيذ خطته بشوق ... وقال لـ «عثمان»: ألم يتصل بك «حسن» أو «عتيق»؟

عثمان: نعم ... اتصل.

أحمد: وهل لديه أخبار؟

عثمان: عن «باسم»؟

أحمد: نعم.

عثمان: إنه في الضفة الغربية وسيتصل بك.

كان هذا أسعد خبر سمعه «أحمد» فها هو أخيرًا يستطيع أن ينفذ خطته الكبرى وينتقم من سارقي السيارة … والأرض والوطن والتاريخ.

وقام بالاتصال برقم «صفر» يسأله رأيه فيما سيقوم به … فأبلغه موافقته.

ثم قام بإبلاغ «عثمان» و«إلهام» … ولم يصدِّق «عثمان» أن سيارته في بطن هذه الغواصة وأن «أحمد» يهتم بتفجيرها … ورفض الخطة كلها، وطلب من «أحمد» إمهاله بعض الوقت … وسيستطيع أن يقبض على كل مَن بها ويأسرهم … ويستعيد سيارته … ويربح غواصة.

إلا أن «أحمد» ثار في وجهه … فما يقوله ليس منطقيًّا.

ورفض «عثمان» الموافقة على إتمام هذه الخطة.

ولجأ «أحمد» إلى «إلهام» طالبًا منها إقناعه … فلم تجده.

لقد ارتدى «عثمان» بدلة غوص … وذهب إلى الماء.

والآن … لا يستطيع «أحمد» حتى أن ينفذ خطته دون انتظار موافقة «عثمان» لأن وجوده تحت الماء سيعرِّض حياته للخطر.

وبعد ساعة من نزوله إلى الماء … عاد «عثمان» يلهث.

وما إن خلع ملابس الغوص وارتدى ملابسه … حتى طلب من «إلهام» التدخُّل بينه وبين «أحمد» … كي يعذره لما فعل … فهو كان يحب هذه السيارة … فسألته «إلهام» قائلة: والآن؟

عثمان: لقد رأيت ما أقنعني بصواب ما يفعله «أحمد».

وارتاح «أحمد» لهذا القرار … ولجأ إلى الكمبيوتر … وطُلِب منه إعداد برنامج التفجير وازدحمت الشاشة بالبيانات التي ما تكاد تظهر حتى تختفي لتظهر عليها … وبعد ذلك … ظهرت مجموعة استفسارات والإجابة عليها بنعم أو بلا … وقد وافق «أحمد» عليها جميعًا.

وقام بالاتصال بـ «حسن أبو عتيق» فعرف أنه في «رفح» … وأن انتظار حضوره قد يعطي فرصة للصيد كي يهرب.

وأخيرًا أعدُّوا كاميرات التصوير ... وصعدوا فوق ظهر السيارة ... وأعطى «أحمد» إشارة البدء للكمبيوتر، ولم تمضِ دقيقة ... إلا وخرج من تحت الماء جسم ضخم ... ارتفع في الهواء لأمتار عديدة ... ثم سقط في الماء ... وحوله سقطت أشلاء كثيرة تناثرت هنا وهناك.

وارتدى «أحمد» و«عثمان» ثياب الغطس ... وتركا «إلهام» تحمي السيارة ...

فقالت لهم: إنكم تريدون الغوص الآن لأنكم تعرفون أن الماء دافئ من تأثير الانفجار.

فضحك «أحمد» طربًا وقال لها: المهم ألا ينضجنا هذا الماء الساخن.

إلهام: ولماذا تريدون الغوص؟

عثمان: نريد الاطمئنان على معدات كانت بالسيارة.

إلهام: وهل أتصل برقم «صفر» أبلغه ... أم أنتظر عودتكم؟

أحمد: لا، من فضلكِ اتصلي به.

ولكنها لم تفعل ... فقبل أن تسجل رقمه على لوحة مفاتيح تليفونها ... سرت الموسيقى تنطلق منه.

وعندما ضغطت زر الاستقبال ... عرفت أنها رسالة.

وحين قرأتها ... أصابتها الدهشة؛ فقد كانت تقول: «لقد تمَّت العملية كما كان مخطَّطًا لها تمامًا. أهنِّئكم! رقم «صفر».»

ولزم الثلاثة الصمت، ولم يعلِّقوا.

هنداوي